

(تذكر أن) مختارات تفسير جزء تبارك الدرس الخامس

- سورة الْحَاقَّةُ سورة مكيّة، وآياتها اثنتان وخمسون آية، وقد ورد في فضل قراءتها حديث، لكنّ الحديث لا يصح: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْحَاقَّةِ، حَاسَبَهُ اللَّهُ حِسَابًا يَسِيرًا»^١،
- ﴿الْحَاقَّةُ﴾ اسم من أسماء القيامة، و"حَقَّت" يعني: وجبت.
- قوله: ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾، استفهامات متعاقبة للتشويق والاهتمام والتَّنويه بهذه الحاقة.
- جاء الجواب: ﴿كَذَّبْتَ ثُمُودٌ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ ثمود قوم صالح -عليه الصلاة والسلام- كَذَّبُوا بخبر نبيهم -عليه الصلاة والسلام- ولم يُصدِّقوا ما جاء به.
- هناك ضابط ذكره أهل المعتقد: مَنْ كَذَّبَ رسولاً واحداً، فهو مُكذِّبٌ لجميع الرُّسل.
- قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ثُمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾، طغوا وتكبروا، خطيئتهم عظيمة، ﴿فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾، قيل: بما طغوا، وقيل: الطَّاغية هي الصَّيحة التي عاقب الله بها قوم صالح.
- الفرق بين "الريح والرياح":
- ❖ ذَكَرَ بعضهم أَنَّ الرِّيحَ أتت في القرآن الكريم بالرحمة: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢]، ﴿الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ [الروم: ٤٦].
- ❖ أمَّا الرِّيحُ فجاءت بالعذاب: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١]، وهنا: ﴿بَرِّحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾.
- الرِّيحُ الصَّرصَرُ: هي الرِّيحُ الشَّديدة في البرودة والهبوب.
- عذاب الأمم يتنوع، والله تعالى في ذلك حكمة، فقوم يهلكون بالغرق، وقوم يهلكون بالصَّيحة، وقوم يهلكون بالريح ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤].
- قال تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ يعني: بقيت هذه الريح أياماً، فلو بقيت لحظات لكانت مؤلمة ومزعجة، فكيف إذا بقيت ساعة! فكيف إذا بقيت أياماً!
- قال تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ أسبوعاً كاملاً وليلاً، وهذا الوقت جزء يسير منه يكفي في أن يتعدَّب ويتألم أصحابه، فكيف بها مجتمعة متوالية؟!
- قال تعالى: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ﴾ يقصُّ الله تعالى أخبار هؤلاء للعبرة والاعتبار.
- "فرعون" اسم لمن ملَّكَ مصر، "النجاشي" وصف يطلق على شخص يحكم الحبشة، و"كسرى" وصف يطلق على شخص يحكم الفرس، و"هرقل" وصف على شخص يحكم الروم، و"المقوقس" وصف على شخص يحكم الأقباط.

^١ قال ابن حجر العسقلاني في الكافي الشاف (موضوع)

- قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ هم قوم لوط -عليه الصَّلَاة والسلام- وإفكهم: هو عمل الفاحشة في الذكران من العالمين، وهذا العمل تأباه المروءة، وتأباه النفوس، وتأباه الطباع، فهم خرجوا عن الفطرة بهذا العمل المشين القبيح.
- قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾ في وقت نوح -عليه السلام- لما جاء الطوفان والغرق عقوبة من الله لقوم نوح، استثنى قوم نجَّاهم الله تعالى مع نوح -عليه السلام- وهم أصحاب السَّفينة، ومع طول مدة نوح -عليه السلام- وتنوع أساليب دعوته لقومه، ولين نوح -عليه السلام- وجميع الأنبياء مع أقوامهم، إلا أنَّهم طغوا وبغوا، وما آمن معه إلا قليل.
- قيل إنَّ المقصود بـ"الجارية" في قوله: ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ أي: السَّفينة، الفلك المشحون، وقيل: حملناكم في أصلاب آبائكم.
- وقال بعضهم في قولهم: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ كل ما رأوا السفن، تذكروا السفينة الأولى، التي جعلها الله تعالى نجاه لنوح -عليه السلام- وقومه المؤمنين، وتذكروا أنَّ هذه من نعم الله أن حمل المؤمنين، وبقي مَنْ في أصلابهم إلى هذه السَّاعة.
- الإنسان إذا رأى شيئاً يذكره بالنِّعم يتَّعظ، ويحمد الله -عز وجل- وفي المقابل إذا رأى شيئاً يذكره بالنِّقم يتَّعظ ويخشى الله.
- قال تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا﴾ المواعظ التي نسمعها لا تنفع أصحابها إلا إذا توفر فيهم أمور:
- ❖ قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ [الأعلى: ٩-١١]، الذكرى تنفع من يخشى.
- ❖ والعمل بالموعظة إذا سمعها الإنسان، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾.
- ❖ قال تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ فمجرد السَّماع لا يكفي إذا لم يصاحبه وعي وتقبُّل وانقياد في فعل الطاعات، وانقياد لتجنُّب وترك الخطيئات.
- قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾، جاء في الحديث، قال صلى الله عليه وسلم: «كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبُ الْقُرْنِ قَدِ التَّقَمَ الْقُرْنُ»^٢، الصُّور من أسمائه النَّاقور، والقرن.
- قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ النفخات في الصُّور ذكر أهل العلم فيها كلاماً: فمنهم من قال: إِنَّ النِّفْخَ نَفْخَتَانِ، وقال بعضهم: بل هي نفخات ثلاث، الثالثة نفخة الفزع، سورة النمل: ﴿فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧]، وابن حزم -رحمه الله تعالى- يرى أنَّها أربع نفخات.
- قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ هذا النَّفْخ من أشرط السَّاعة الكبرى، وهذا النَّفْخ يتولاه أحد الملائكة -عليهم الصلاة والسلام- المؤكَّل بالنَّفْخ في الصُّور، اسمه إسرافيل.
- قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾، هذا المقام مقام فزع، كما ذكر الله أنَّ النَّاسَ يَفْزَعُونَ، بل يُصْعَقُونَ، فإذا قرأ الإنسان مثل هذه الآيات، ينبغي أن يقف عندها، وهو يرى الصوت الرفيع للرياح في

^٢ سنن الترمذي (٣٢٤٣) وصححه الألباني.

الدنيا يكون مزعجاً وفيه خوف وقلق، مع أنها وقتية وتنتهي، ثم تستمر الحياة بعدها، فكيف في موقف قد أخبرنا أنه نهاية الدنيا، وأن بعده حساب وعقاب، لطف الله بالجميع.

قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ يعني: قامت القيامة التي جاءت علاماتها توطئةً ومقدمةً لها لتحقيق وقوعها، ومن حكمة الله ورحمته أن هناك مقدمات لهذه القيامة، وهذا فيه فوائد: منها رحمة الله تعالى بالخلق، فعلامات الساعة وأشراط الساعة التي جاء الوحي بها هي نذُر؛ ليتعظ ويتنبه الغافل، ويزداد الطائع ثباتاً.

قال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ الأرجاء هي الأطراف، قيل: يبقون على أطرافها بعد انشقاقها. الملائكة -عليهم الصلاة والسلام- خلق من خلق الله، مخلوقون من نور كما في النصوص، ولهم صفات خلقية، وخلقية.

❖ من الصفات الخلقية: في سورة فاطر ذكر الله بعضها: ﴿أُولَىٰ أُجُنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [فاطر: ١].

❖ من الصفات الخلقية: «أَلَا أَسْتَعِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَعِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ»^٢.

الإيمان بالملائكة -عليهم الصلاة والسلام- من أصول الإيمان الستة، وقد أخبرنا الله تعالى ببعضهم، وبيعض وظائفهم.

قال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ﴾، العرش عرش حقيقي، جاء ذكره في القرآن الكريم في آيات كثيرة، والله تعالى استوى عليه استواءً يليق بجلالته وعظمته، من دون تمثيل أو تشبيه أو تكييف، وذكر الاستواء في سبع آيات.

❖ العرش في اللغة: سرير الملك.

❖ وفي الاصطلاح: هو عرش الرحمن، عرش حقيقي، له صفات، ذكر بعضهم منها:

□ أنه أعلى المخلوقات.

□ وأثقل الموزونات «سبحان الله وبحمده، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه»^٣.

□ وأرفع المخلوقات.

□ من صفات العرش: أن له قوائم، قال -عليه الصلاة والسلام-: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا

بموسى أَخِذْ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ»^٤.

□ من صفات العرش: أنه بهي المنظر، أي: جميل الشكل لطيف. من أين أخذ أهل العلم هذا الوصف؟

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ ذكر بعض أهل العلم أن العرض يكون أكثر من مرة، والدليل في قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَعَرِّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: ٤٨]، وجاء في حديث أن العرض ثلاث مرات:

^٢ صحيح مسلم (٢٤٠١).

^٣ صحيح مسلم (٢٧٢٦).

^٤ صحيح البخاري (٦٤٢١).

❖ **الأول: عرض الجدل.** يجادل الإنسان في طلب حقه وحقه محفوظ له.

❖ **الثاني: عرض المعاذير،** يعتذرون.

❖ **الثالث: العرض الأخير، فتتطير الصحف،** فأخذ كتابه باليمين -جعلنا الله وإياكم والسماعين والمشاهدين من هؤلاء- وأخذ كتابه بالشِّمال -أعاذنا الله.

➤ قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ نستفيد أن هذه المقامات تزيد العبد في الدنيا خوفًا، وأن الإنسان مهما فعل في الدنيا من المعاصي سواء بنفسه، أو أضرَّ بالآخرين، ولو اختفى في أعماق مكان، وأظلم مكان، وأبعد مكان، فلا يخفى أمره على الله، وسيحاسب على كل شيء، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، فإذا استشعروا عرف الإنسان أنه سيحاسب، وسيُصعق عند النفخ، وسيقوم، وسيحاسب بما فعله إذا كان منهى عن فعله، بما ترك إذا كان مأمور بما تركه؛ فيزداد من الله خوفًا، وله حُبًّا.

➤ قال تعالى: ﴿هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابِيَهٗ﴾ فرح بهذا الكتاب؛ لأنه أخذه بيمينه، وهذه علامة الخير، فإذا أخذ الإنسان في الدنيا شهادة أو ظفر بشيء فيه فوز؛ فإنه يُطلع عليه أحبته وإخوانه من باب المشاركة لهم حتى يشاركونه في فرحه، ويبشّروهم بما بُشّر به.

➤ ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾ الظن هنا بمعنى اليقين، ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهٗ﴾ يعني: أيقنت، سيلاقي ما قدّم في الدنيا، وما وُفّقه الله تعالى وهداه له من الخيرات فعلاً، ومن المنكرات تركًا واجتنابًا.

وصلّى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

